ما الذي نحتاج معرفته ... وصنى

بقلم: إيغور كريبينوف

إن تثقيف المجتمع حول مخاطر الإرهاب النووي يمكن أن يساعد في رفع السويات الأمنية

يمكن أن تكون البنية التحتية للقدرة النووية هدفاً لأفعال إرهابية من سرقة وأعمال تخريبية وحيازة غير مُرخّصة وأفعال خبيثة أخرى بسبب محتواها الإشعاعي والكيميائي واحتمال استخدامها لصنع أسلحة. فالإغارة على مكونات السلاح النووي، بما في ذلك إنتاج الوقود والمفاعلات وتداول النفايات ومنشآت إعادة المعالجة، ستؤدي إلى عواقب خطيرة –حتى وإن لم تُصب المحطة النووية والبنى المرتبطة بها بتخريب أو أصابها تخريب بسيط. إذ إن خوف عامة الناس من الإشعاع النووي بالاشتراك مع احتمال انقطاع ناجم كبير للإنارة وعوامل مستفحلة أخرى، سيخلق كرباً عارماً وفزعاً. وبكلمات أخرى، إن أي محاولات هجوم إرهابية ناجحة على بنى تحتية للقدرة النووية يمكن بسهولة أن تقود إلى نكبة تنظيمية.

تصدم هذه المخاطر التنظيمية المجتمع بمقدار كبير ويمكن أن تنشر آثارها إلى أبعد مما يُحدثُه مصدر الخطورة الأصلي نفسه. فهذه المخاطر تؤثر بشكل واسع على منظومات تتوقف عليها حياة المجتمع، مثل الصحة والنقل والبيئة والاتصالات السلكية، ونتائجها قد تكون فنية واجتماعية وبيئية وسيكولوجية واقتصادية وتطال أصحاب مصلحة آخرين.

ولكن في هذا السياق، ثمّة صاحب مصلحة أُسيء تقديرُه واستخدامُه وإلى حدٍ ما فَهمُه أيضاً: إنه الجمهور العام. إذ يجب على البنى التحتية للقدرة النووية أن تتعلم كيف تتصل بالجمهور العام، وتُطَوِّر خيارات أفضل لإطلاعه على الخطر العام المتعلق بالاعتداءات أو الحوادث المتعمدة. إن الجمهور هو أيضاً رهان تحدٍّ بسبب انقسام المواطنين بشكل عميق فيما يخص تقبُّل وكلفة توليد القدرة الكهربائية النووية وميلهم للتعبير عن مشاعرهم بشكل عاطفي. ولكن ثمّة إدراكٌ متزايد أنه بسبب الصعود الصاروخي لأسعار النفط ودلائل مفعول غازات الدفيئة قد تكون القدرة الكهربائية النووية نهضة قادمة. إذن، يجب ألاّ يُنظر للجمهور على أنه ضحية فقط، أو مجرد تجمعات مذعورة إنما بالأحرى عامل إسهام مهم في ضمان أمن نووي أفضل عبر جميع المراحل الممكنة لحادث ما.

إدراك مشترك للخطورة

يُبنى الإدراك المشترك للخطورة على استعلام موضوعي وشفاف للخطورة. وهذا يعني عملية تبادل تفاعلية للمعلومات والرأي بين الأفراد والمجموعات والمؤسسات ونقل معلومات الخطورة إلى الجمهور ومنه إلى أصحاب القرار ومشغِّلي البنية التحتية. ففي الحقيقة، لا يعتمد المستوى العام لقبول الخطورة على الخبرة الفنية فحسب، بل يتأثر بشكل قوي بالسيماء الثقافية والفردية والقيميّة أيضاً. ولإنجاز هذا الهدف من خلال تبادل معلومات الخطورة فيما يخص البنية التحتية للقدرة النووية، يجب أن تعتمد العملية على حوار فيما بين المعنيين الأساسيين –خبراء المخاطر ومقرري السياسة ومشغِّلي البنية التحتية والجمهور المعني.

وبالنسبة للبعض، إن لم نقل غالبية المهنيين والخبراء، فإن الخطورة هي جُداء احتمال حادث ما بعواقبه المتوقعة، متراوحاً بين معتدلٍ وكارثيّ (بمعنى: الخطورة= الاحتمالية × العواقب) هناك على الأقل ثلاثة أنماط للاحتمالات بالنسبة للمنشآت النووية: هجومٌ مُتعمّد، إخفاقٌ ناجمٌ عن عطل، وإخفاقٌ قدريٌّ محايد.

يتباين حجم خطورة ما على الأفراد بحسب بيئتهم وثقافتهم وأهدافهم. ويفضي هذا إلى آراء وتأويلات مختلفة للخطر وأذيّاته. ويميل الجمهور غالباً إلى تشكيل وجهات نظره عن الخطورة بناءً على الخبرة الشخصية والصدمة. ولهذا السبب، فاحتمال أن شيئاً ما سيئاً سيحدث للناس، إضافة إلى جوانب الوضع التي تقلقهم تُفضيان إلى استشعارهم بالخطورة، الذي غالباً ما يُبنى على الانفعال أكثر من تحليل الاحتمالات المساهمة. لذا، فإن الأفعال الوقائية تكون أحياناً صعبة التفضيل من قبل الغرباء وحتى يصعب شرحها للجمهور. وهناك أيضاً مسألة فهم اللغة المستخدمة، وبخاصة عندما تختلف المصطلحات ويختلط النقاش بين مجالات مختلفة في تقييم الخطورة.

تتضمن العوامل التي يمكن أن تؤثر في مواقف الجمهور مدى كِبَرْ العواقب، وجهل طبيعة الخطر، وعدم الثقة بالمؤسسات التي تحاول

تدبير الخطر، ومستوى اهتمام الجهات الإعلامية المُعطى لحدثٍ ما. ومن المعايير المهمَّة أيضاً لفهم مدارك العامة نذكر مدى قرب مناطق السكن والمدارس من جزء معيّن من البنية التحتية للطاقة النووية، والكثافة السكانية في الموقع ونشاطات المجموعات المحلية الفاعلة فيه. وحتى ضمن قطّاع سكني مُحدَّد لا تكون مُدرَكات الخطورة متجانسة وقد تتباين بحسب الخبرة والجنس والحالة الاجتماعية والوضع العالمي.

مراحل في استعلام الخطورة

استعلام الخطورة ضروري في تحقيق الإدراك المشترك للخطورة. ويمكن تعريفه بعملية استعلام ثنائية الاتجاه تتضمن أنماطاً متعددة من معلومات ذات أغراض متعددة. وكفائدة مهمَّة، فإن استعلام الخطورة يمتلك قدرة كامنة على بناء ثقة الجمهور وتكيُّفه في أوقات الأزمات.

وهناك وجهات نظر مختلفة في شأن مقاربة وفهم معنى استعلام الخطورة بالاستناد إلى المفهوم الإدراكي للجمهور. فمن ناحية أُولى، هناك إدراك جمهور مستسلم ينتظر معلومات حيوية من مصادر رسمية، بينما، من ناحية أخرى، ثمّة صورة جمهور متأهب يسعى لفهم الحقيقة والإسهام في تدبير متشارِك للمخاطر. وتقدّم وجهة النظر الثانية أمثل سيناريو لتحريك اجتماعي يضم عملية تبادل معلومات وآراء متفاعلة بين الأفراد والمجموعات والمؤسسات.

ليس من إمكانية لنجاح طرازٍ ما من استعلام الخطورة إذا كان هدفه استيعاب غير الخبراء لوجهات نظر ونقاشات الخبراء. ولكن، يمكن اعتبار ذلك ناجحاً في نطاق كونه يرفع من مستوى فهم القضايا أو الأفعال المعنية من جانب أصحاب المصلحة، بما في ذلك الجمهور وكونه يضمن بشكل كاف تبليغ هذا الجمهور ضمن حدود المعرفة المتوافرة، وإذا لزم، يمكن أن يلعب دوراً ذا معنى في تدبير الخطورة.

وهكذا، فمن أجل تحقيق أهداف منشودة تتماشى مع مِفْصل معين من البنية التحتية للقدرة النووية، فإن أي مخاطبة للجمهور يجب أن تسير مثالياً عبر ثلاث مراحل:

① **مشاركة الجمهور في المعلومات:** إنها عملية ذات اتجاه وحيد يتم فيها تدفق المعلومات من الحكومة و/أو المشغِّلين إلى الجمهور توخياً لغايات تثقيفية،

② **تواصل جماهيري:** إنها حملة تأهُّب تتبناها الحكومة و/أو المشغِّلين للإجابة عن المخاوف الطارئة للجمهور،

③ **إشراك الجمهور:** إنها علاقة متواصلة تصبح فيها المجتمعات شركاء مع الحكومة و/أو المشغِّلين حول أغراض متفق عليها.

تعتبر المرحلة الأخيرة بشكل طبيعي أكثر نضجاً حينما يكون الجمهور على دراية بالرهانات المَعْنيّة ويملك المعرفة المطلوبة لتولّي أدوار نوعية قبل مراحل ما قبل الحدث وما بعده.

إشراك الجمهور

يُشَكل الأمن حالياً قلقاً يؤثر في شعور الجمهور حول المخاطر النووية والراديولوجية والتهديدات الإرهابية. ولتبادل فعّال للمعلومات حول القضايا المتعلقة بالأمن، يجب على الحكومة والمشغِّلين فَهمَ واحترام مخاوف الجمهور الحقيقية المتعلقة بالسلامة والأمن. إن الجمهور يتفهم ويَقلق بشكل كبير من أن الإرهابيين ربما يقصدون اختراق معالم الأمان المتخذة في المرافق النووية من خلال المسّ بمنظومات الأمن. ويتساءل الجمهور بشكلٍ نمطي ما إذا كانت منظومات الأمن هذه كافية، ويطوّر اهتماماً جاداً في جعل النظام الأمني قوياً بما يكفي للمحافظة على معالم أمان عملانية بشكل موثوق.

بَيدَ أن تهديدات الإرهابيين البادية ترفع الإجراءات الأمنية بما في ذلك التحصين المادي وصولاً إلى حالة فريدة ومستقلة تتجاوز التعاون البسيط بين الأمن والأمان. وبكلمات أخرى، فإن التداخل بين الأمن والأمان آخذ بالانكماش إلى حدٍّ ما، كاشفاً بذلك عن عناصر تعارضٍ تحتاج إلى التصالح فيما بينها. فأولاً، يمكن للهجمات الإرهابية زيادة تأثير حادث ما إلى حدٍّ كبير بحيث تجعل عمليات الأمان الروتينية غير كافية. وثانياً، إن الإرهابيين كخصوم قابلين للتكيُّف لا يمتلكون فقط القدرة على تغيير تكتيكاتهم أثناء مسيرة الهجوم بل يستطيعون أيضاً القيام بمحاولات هجوم مزدوجة و/أو عدة هجمات متلاحقة ضد البنى التحتية. وتُعد الهجمات الإرهابية من ناحية ثالثة أفعالاً إجرامية، كما أنها تتضمن مضاعفات إضافية لتأمين مشهد إجرامي وإجراء تحقيق أثناء طور الاستجابة.

ومن أجل استعلام خطورة فعَّال، يجب شرح الأمن والأمان للجمهور وعرضهما كوجهين لقطعة نقود واحدة تكون عاملة بدون متاعب للبنية التحتية للقدرة النووية تحت أي ظروف محتملة. وهكذا، عبر استقطاب الجمهور والاعتراف بكونه صاحب مصلحة مهمّاً، تستطيع استراتيجية استعلام خطورة ذات معنى أن تنجز أربع مهام مترابطة:

1. **التوصل إلى تقييم عام قادر على جعل الجمهور يتثقف ويستعدّ.** إذ إن كسب دعم الجمهور يتطلب تصوراً حقيقياً دقيقاً للخطورة وتحديد خط واضح بين الادعاء بالتهديد من أجل استنهاض الجمهور لفعل الحدث وبين التقليل من شأنه لمنحهم طمأنة خاطئة. إنَّ تهيُّؤ الجمهور يوفر له طريقة لترجمة الوعي إلى فعل يتضمن جملة من النشاطات، بما في ذلك خطط تطوير وممارسة محتملة، مثل الاستعلام والإخلاء والحماية. كما أن التهيؤ يفيد كجسر بين ثقافة الخطورة التي تتم قبل وقوع الحدث، وبين اتخاذ الإجراءات الوقائية أثناء الأزمة.

إن الكثير من برامج التهيئة إن لم تكن جميع المعلومات المتاحة للجمهور العام عن خطورة الإرهاب، وكذلك التقييمات أو إمكانات الرد وما إلى ذلك، ستكون كذلك متاحة للإرهابيين المحتملين الذين يمكن أن يستخدموها ليقرروا القيام بهجوم، وأي أجزاء من البنية التحتية هي أكثر هشاشة. ومما يجب فهمه أن الهدف النهائي للإرهابيين هو ثقة الجمهور والحكومة بنفسيهما وليس الوحدات النوعية للبنية

التحتية بحد ذاتها. إن استعلام الخطورة، في هذا الجانب، يمثل عملاً توازنياً حذراً للحكومة وللصناعة. وعلى كليهما فهم فوائد إبقاء الجمهور مطلعاً بشكل كاف على الإمكانية المثبطة لبعض أشكال الاستعلام الجماهيري الخاص بالإرهابيين وعلى الحاجة للسرِّية فيما يتعلق بالمعلومات الحسّاسة. وتجب موازنة هذه الجوانب التنافسية لدى تقرير أي أنماط من المعلومات ينبغي إتاحتها وبأي مدى من التفصيل.

2. تشجيع الجمهور ذي الاطلاع الحسن والتحضير الحسن للمساهمة في ثقافة أمن نووي سليم، ليس في المحطة النووية أو في مستوى الوحدات المرافقة الأخرى فحسب، بل في مستوى الأمة أيضاً. ويمكن تعريف ثقافة الأمن في مستوى المنشأة النووية بأنها مجموعة خصائص مترابطة تابعة للمنشأة تُعيرها القوة العاملة انتباهاً كافياً للأمن النووي. وتمثل المعتقدات والافتراضات والمبادئ المتشاركة التي توجه القرارات والأفعال ونماذج السلوك حيال الأمن مجموعة "الخصائص الترتيبية والتراتبية ordered and hierarchical" التي تؤلف ثقافة الأمن النووي. وإنه لمن المهم أن نفهم أن غالبية القوة العاملة في المحطة النووية هم جزء من المجتمع المجاور للموقع. إنهم ذوو أُسرٍ موجودة هناك تقيم علاقات اجتماعية مع مواطنين محليين على أساس نظامي. من هنا يتضح أن الالتزام القوي بالأمن النووي من جانب الجمهور المحلي يعمِّق الرؤية الشعبية للقضايا المرتبطة بالأمن، ويحسِّن بشكل غير مباشر تحفيز الكادر الذي يشغِّل ذلك الموقع.

3. توليد يقظة جماهيرية، تُقنِعُ المواطنين بتعاون أكثر مع فرض القانون. وستتجلّى هذه اليقظة في تقارير عن جهود غير مرخصة للوصول إلى مواقع بنىً تحتية حسّاسة أو لخرق حدود الموقع. إن الجمهور الملتزم سيقوم حتى بالإعلام عن الأشخاص أو النشاطات المشبوهة قرب الموقع. ويمكن تدريب نسبة بسيطة من الجمهور المحلي على أداء مثل هذه الوظائف بشكل طوعي، وخاصة في المناطق المتناثرة السكان والمناطق التي يصعب فيها الرصد.

ولكن يجب على مثل هذه المبادرات أن تستنبط الدروس وأن تتجنّب عثرات ما يسمى الاحتراس "vigilantism". كما يجب أن تَحْذَرْ هذه البرامج خلق كادر من أفراد الجمهور ينزلقون إلى مسرح الحدث الإرهابي ويحاولون القيام بأفعال إرهاب مضاد لكونهم يعتقدون، خطأً، أنهم مستعدون لردع عمليات إرهابية. ولكن ثمة مشكاةٌ يشغلها جمهور الأمن الواعي. فتدريب المواطنين المحليين حينما يُظن ذلك ضرورياً، يجب أن يكون في البال حاضراً تمويلاً وإعلاماً موسّعاً.

4. تخفيف الأثر النفسي والمادي الفوري والبعيد الأجل لحادث إرهابي ما من خلال تبديد الرعب وتعزيز المعنويات وترسيخ الثقة وتقديم الإرشادات. وهذا التوكيد ضروري بشكل خاص خلال مرحلة أفعال مواجهة الإرهاب أو أثناء احتمال وقوع أفعال إرهابية. وتتألف هذه الترتيبات المتعلقة بما بعد الحدث من خطوات تستطيع الأفراد والمجتمعات اتخاذها لإنقاذ الأرواح وتخفيض الخسائر عند وقوع حدث ما. يتمثل الاختبار الجوهري في مدى فعاليتها عند وقوع حدث حقيقي عندما حاولت مؤسسات اجتماعية تقليدية التنَصُّل كما تبيَّن في أعقاب إعصار كاترينا الذي ضرب الولايات المتحدة في العام الماضي. تشتمل مثل هذه الأفعال على أشكال من الإيواء والإخلاء والضمان بالإضافة إلى استخدام التجهيزات الوقائية الفردية وتشكيلة منوعة من الإجراءات المضادة الطبية.

ما مقدار المعلومات ومتى؟

السؤال الرئيسي هو: في أي وقت منظور يغدو من الضروري تكثيف حملة استعلام الخطورة وتثقيف المواطنين حول الأفعال التي يجب أن يتخذوها استجابة للأنماط المختلفة من الحوادث الإرهابية؟ وفي حين أن رهطاً كبيراً من الجمهور لن يكترث كثيراً بالانتباه إلى هذه الجهود أو يتقبَّل المعلومات والمواد المُقدَّمة بانتظار الحوادث المستقبلية، يوجد أناس يستجيبون –ربما بسبب اقتناعهم بأن الحوادث الإرهابية ستحصل أو ربما بسبب أنهم يتسلحون بالمعلومات. وظناً منا بإمكانية أن تقوم هذه المجموعة النشطة بتحقيق استجابة سلوكية ونفسية لدى الآخرين –في المنزل وفي المكتب وفي المدرسة– فإن الأمر يستحق على الأقل تكريس بعض الأوقات والمواد لتثقيف الجمهور.

وفي نهاية المطاف، فإن كل الأمر منصبٌّ في إيجاد جمهور أكثر تكيّفاً واستعداداً لمواجهة المعتدين الإرهابيين. وعادة ما يُعرَّف الصمود resilience بأنه القدرة على قيادة تغيرات عنيفة، توصف كإسعافات يمكنها أن تتولد أو تحدث في أزمنة ما.

يمكن للحلول والكفاءات التقنية أن تساهم في إحداث الصمود ولكن الصمود الحقيقي يكون في النهاية مرتبطاً بالموقف والحافز والعزم. إن توليد مثل هذا الموقف يتطلب تغييراً ثقافياً وتركيزاً أعمق على الحالة الفكرية للمجتمع. فالمواطنون الصامدون سيكونون أكثر عدداً من المتفرجين في جهود التعامل مع أفعال الإرهابيين –سواء أكانت تَنصَبّ على بنية تحتية للقدرة النووية أم على هدفٍ آخر–وسيكونون أقلّ ميلاً للخوف والقلق في أثناء مواقف الأزمات. إن تحقيق الصمود والحملات الأخرى المرتبطة بالجمهور مُكلِفة زمنياً ومالياً، ويجب أن تستمر على المدى البعيد. ويجب إيلاء تفكير عميق في عملية تخطيط وتنفيذ مثل هذه الحملات جنياً للفوائد القصوى.

إيغور كريبينوف هو مدير مساعد لمركز الأمن والتجارة الدولية في جامعة جورجيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

E-mail: igokhrip@uga.edu